شوبهدا شوداري

باحثة دكتوراه بجامعة جواهر لال

نهرو، نيودلهي

التعافي السريع:

إجراءات التعايش مع مخاطر الكوارث الطبيعية في آسيا

تمثل الكوارث الطبيعية مصدر الخطر الأساسي الذي يهدد الدول الآسيوية، خاصة بالنسبة لدول جنوب وجنوب شرق آسيا، وقد أدى تغير المناخ إلى زيادة تكرار وقوع مثل تلك الكوارث الطبيعية عبر دول القارة، كما جعلها أكثر حدة. وتجدر الإشارة إلى أن هذا النوع من المخاطر لا تصلح معه استراتيجيات المنع أو الوقاية، نظراً لأنه خطر حتمي الحدوث، لا مفر من وقوعه، وبالتالي لا يوجد أمام دول وشعوب القارة سوى إيجاد السبل للتكيف معه والتعافي السريع منه.

أولاً: الدول الأكثر تضرراً من الكوارث الطبيعية

تعد آسيا القارة الأكثر تعرضاً للكوارث الطبيعية على مستوى العالم، ففي العقود القليلة الماضية. وطبقاً للتقارير المتخصصة في هذا الشأن، والصادرة من عام 1991 إلى عام 2000، فإن حوالي 83% من سكان آسيا قد عانوا بسبب الكوارث الطبيعية[1]. وكشف تقرير مركز مراقبة النزوح الداخلي، أن الصين والهند والفلبين سجلت أعلى مستويات النزوح في الفترة بين عامي 2008 و2014، حيث تسببت مخاطر الأحوال الجوية (خاصة الفيضانات والعواصف) في نزوح وتهجير ما يزيد على 17.5 مليون شخص في آسيا، وهو ما يمثل 92% من إجمالي النازحين في العالم[2].

ومن بين دول القارة الأكثر تعرضاً للمخاطر الطبيعية جاءت الهند وباكستان وبنجلاديش على رأس القائمة، وقد تكبدت تلك الدول خسائر بشرية ومادية كبيرة ومرشحة للزيادة في ظل استمرار حدوث تلك الكوارث.

1- فيضانات مدمرة في الهند وباكستان وبنجلاديش:

بحسب التقديرات، يبلغ حجم المتضررين في الهند من الفيضانات سنوياً حوالي ثلاثة ملايين ومائة ألف هندي، ويبلغ متوسط حالات الوفاة بينهم حوالي 1653 شخصاً سنوياً[3]، فعلى سبيل المثال، في يوليو 2015، تأثرت أكثر من 155 قرية في ولاية أسام، وحوالي 65 ألف شخص من جراء الفيضانات في مقاطعات "دماجي" و"أكيمبور" و"سونيتبور"[4].

ولم يسلم الجزء الغربي من الهند من تلك الكوارث، فقد تضررت أكثر من 600 قرية تابعة لولاية غوجارات[5]. ويعاني سكانها جراء تلك الأحداث من ندرة الطعام والمياه الصالحة للشرب، بالإضافة إلى تدمير الطرق وانقطاع وسائل الاتصال[6]، وما زاد الأمر صعوبة هو انهيار الكباري، الأمر الذي أدى إلى عزل العديد من القرى وعجز سكانها عن الخروج منها في الوقت الذي غرقت فيه المراكز الطبية.

أما باكستان، فلم يكن وضعها أفضل كثيراً من الهند، ففي يوليو الماضي فقط، لقي ما لا يقل عن 81 شخصاً حتفهم في باكستان، ونزح حوالي 300 ألف شخص آخرين عبر البلاد بسبب الفيضانات المدمرة[7]. وبشكل عام تشير التقديرات إلى أن حجم الخسائر الاقتصادية السنوية جراء الفيضانات يقدر بحوالي 1% من إجمالي الناتج المحلي للبلاد، أي بقيمة 2.7 مليار دولار أمريكي[8]، بينما يبلغ عدد الأشخاص المتضررين حوالي 715 ألف شخص كل عام.

وعانت بنجلاديش من سقوط الأمطار الموسمية الغزيرة

التي تزامنت مع اندفاع مياه الفيضان العارمة التي أغرقت أجزاء مختلفة من البلاد، والتي تسببت في مقتل سبعة أشخاص، وتشريد عشرات الآلاف، وتم حصار وعزل ما يزيد على مائة ألف شخص في ثلاث مناطق (خاجراتشاري وبندربان ورانجاماتي) بعدما أغرقت مياه الفيضان الطرق وجعلتها غير صالحة للاستخدام[9]. وقد دمر إعصار كومن عشرات المنازل الواقعة في أقصى جنوب جزيرة سانت مارتن. وتم إجلاء حوالي ستين ألف شخص من القرى الساحلية في منطقة جنوب كوكس بازار بعد مخاوف من ارتفاع الأمواج[10].

2- زلازل وبراكين في إندونيسيا ونيبال:

تعاني إندونيسيا من الزلازل والبراكين في ظل وقوع البلاد فيما يعرف بـ "الحزام الناري في المحيط الهادي"، وهو عبارة عن سلاسل بركانية تمتد من جبال الأنديز إلى غرب المحيط الهادي، ويقع الكثير من البراكين والزلازل فوق قاع البحار وأسفل المحيطات.

وبلغ إجمالي من تم إجلاؤهم منذ يوليو الماضي بإندونيسيا بسبب الثورات البركانية ما يزيد على ثلاثة عشر ألف مواطن، أغلبهم من سفوح سينابونغ في منطقة تاناه كارو[11]، كما عَلَقَ آلاف المسافرين، الذين كانوا في طريق عودتهم لوطنهم، وذلك إثر إغلاق خمسة مطارات بسبب الرماد المنبعث من البركانين.

أما في نيبال، فقد عانت من التبعات المفجعة للزلزالين اللذين حصدا أرواح ما يناهز تسعة آلاف شخص في عام 2015، وأدت إلى إصابة حوالي ستة عشر آخرين، كما أن الانهيارات الأرضية الناجمة عن الأمطار الغزيرة أودت بحياة ثلاثين آخرين[12]. كما تم تدمير ما يقرب من نصف المنازل في قرية لوملي بسبب سيل من الطين والصخور.

3- إعصار الفلبين:

وفي مايو، ضرب إعصار "نول" الحافة الشمالية الشرقية من جزيرة لوزون بالفلبين، وهو ما أعاق حركة السفن، مما تسبب في حصار أكثر من خمسة آلاف شخص عبر البلاد[13]. وفي يوليو، غمرت الفيضانات شمال الفلبين، حيث ضربت العاصفة الاستوائية "لينفا" الطرف الشمالي من الأرخبيل[14].

ثانياً: قصور السياسات التي تتبعها الحكومات الآسيوية

ذكر "يان إيجلاند"– الأمين العام للمجلس النرويجي للاجئين– (وهي منظمة غير حكومية يتبعها مركز مراقبة النزوح الداخلي)، أن "الفيضان ليس كارثة في حد ذاته، وإنما تنبع الكارثة من عدم استعداد الناس له وعدم اتخاذ تدابير لحمايتهم منه عندما يقع"[15].

وتشير هذه المقولة إلى الإجراءات والتدابير التي يجب على الحكومة القيام بها في فترة ما بعد الكوارث الطبيعية، مثل كيفية حماية الناس لأنفسهم من استشراء الأوبئة، وكيفية حصولهم على دخل بعد انحسار الفيضانات، خاصةً العاملين بالزراعة. فمجرد وضع الناس في مخيمات الإيواء هو حل قصير المدى، وفي هذا الصدد، تلعب السياسات التي تتبعها الحكومات دوراً محورياً في التعامل مع عمليات إعادة التأهيل.

وعلى الرغم من تكرار الكوارث الطبيعية، وتوقع استمراريتها في المستقبل المنظور، لم تستطيع معظم الدول الآسيوية تطوير سياسات واستراتيجيات وطنية للتعامل معها للتقليل من تداعياتها وخسائرها. فعلى سبيل المثال، نجد أن الدستور الهندي لم يحدد موضوع السيطرة على الفيضانات ضمن اختصاصات أي من الحكومة المركزية أو حكومة الولايات، أو حتى ضمن الاختصاصات المشتركة، مما يمثل فشلاً كبيراً لدور الحكومة الهندية في التعامل مع الكوارث.

وعلى الرغم من تأسيس الهند لجنة المياه المركزية في عام 1945[16] لتعزيز تدابير مكافحة الفيضانات وحفظ الموارد المائية والاستفادة منها، فإن عدم التنسيق بين حكومة الولايات والحكومة المركزية حد من سرعة الاستجابة للكوارث، على الرغم من أنه بمقدور كل من حكومة الولايات والمركز نشر قوة مجابهة الكوارث الوطنية، والتي تضم 700 موظف ومتطوع[17].

> **تسببت مخاطر الأحوال الجوية (خاصة الفيضانات والعواصف) في نزوح وتهجير ما يزيد على 17.5 مليون شخص في آسيا، وهو ما يمثل 92% من إجمالي النازحين في العالم وسجلت الصين والهند والفلبين أعلى مستويات النزوح بين عامي 2008 - 2014.**

ومن جانبها، تعمل الحكومة الباكستانية الآن على صياغة مسودة الخطة الوطنية الرابعة للوقاية من الفيضانات، وتحاول الاستعانة بالمنظمات الدولية من أجل تحديد أفضل طرق الإغاثة والتعافي من الكوارث الطبيعية، ففي عام 2012، على سبيل المثال، دعت الحكومة بعثة "رامسار" الاستشارية (وهي مجموعة من الخبراء تعمل في إطار اتفاقية رامسار الدولية) لزيارة نهر "السند" لتقديم تقرير يقترح استراتيجية فعّالة لاستغلال مياه الفيضانات وإصلاح الأراضي الرطبة[18].

أما بالنسبة لبنجلاديش، فنظراً لكونها من البلدان الأقل تقدماً من الناحية الاقتصادية، فإنها لا تستطيع اتخاذ تدابير مكلفة لمواجهة الكوارث الطبيعية، ولذلك تعتمد على الجهود الدولية بصورة أساسية، حيث يقوم البنك الدولي حالياً بتمويل المشاريع المعنية برصد مستويات الفيضان، وبناء ضفاف صناعية للحد من الفيضان. وفي الوقت ذاته يتعين على الحكومة التوصل إلى طرق مستدامة للحد من آثار الفيضانات السلبية[19].

أما في إندونيسيا، فقد أشارت هيئة إدارة الكوارث الوطنية التابعة للحكومة إلى أن لديها مائة مليون شخص يعيشون في مناطق عرضة للكوارث الطبيعية، سواء كانت براكين أو فيضانات أو زلازل. وعلى الرغم من تخصيص ميزانية سنوية للهيئة تبلغ حوالي 300 مليون دولار أمريكي، بالإضافة إلى احتياطي يبلغ 380 مليون دولار. فإن الحكومات المحلية

توجه مبالغ ضئيلة منها لإدارة الكوارث، وهو ما يشكل بالقطع تحدياً لجهود إدارة الكوارث الطبيعية. كما أن هناك حاجة لجهد حكومي لرفع استعداد المجتمع للتعامل مع الكوارث، والذي وصل حالياً لمستوى متدنٍ للغاية[20].

ثالثاً: صدمة نيبال والدروس المستفادة منها

يعد الدمار الذي تعرضت له نيبال، جراء الزلزال الذي ضربها في 2015، وارتفاع حالات الوفاة إلى 9 آلاف شخص، محفزاً لمراجعة الدول الآسيوية لسياستها والاستفادة من تجربة نيبال لتتمكن من التعامل مع الكوارث، وذلك على النحو التالي:

• أن تكون الدولة مستعدة للتحرك الفوري لتقديم أعمال الإغاثة فور وقع الكوارث الطبيعية.

• يجب أن يكون هناك تنسيق بين الهيئات، على الصعيدين الدولي والمحلي، للاستجابة والتعامل بشكل يتناسب مع حجم الكوارث الطبيعية[21].

• تواجه دول مثل الهند ونيبال والصين وإندونيسيا حالياً صعوبات تتعلق بنشر فرق الإغاثة في المناطق الجبلية، وهو الأمر الذي يجب تطوير استراتيجيات للتعامل معه قبل وقوع الكارثة[22].

• يجب على الحكومات المركزية وحكومات الولايات رصد اعتمادات مالية لإدارة الكوارث للإسراع من عمليات التعافي للمتضررين اقتصادياً واجتماعياً، من خلال خلق فرص عمل سريعة لهم على المدى القصير، وهو الأمر الذي سيساعد على التعافي على المدى الطويل.

وفي الختام، يمكن القول إنه في ظل التفاوتات في المستويات الاقتصادية للدول الآسيوية، يتعذر على بعض الحكومات التعامل مع تلك الكوارث. وهو ما يحتاج تدخلاً سريعاً من قبل الهيئات الإقليمية والمنظمات الدولية لتقديم الدعم وإجراءات الإغاثة الفورية. وتعكس حالة نيبال مثالاً رائعاً للدعم الإقليمي والدولي، حيث قامت دول عديدة بإرسال ونشر فرق البحث والإنقاذ والفرق الطبية والهندسية[23]. غير أن هذا لا ينفي أنه على تلك الدول أن تتولى بنفسها عمليات إعادة التأهيل والتعافي لأن المساعدات الخارجية قد تستغرق وقتاً للوصول في ظل تلك الظروف الكارثية.

1- Aditi Tyagi, 'Global and National Scenario of Natural Disasters (with special emphasis on Floods)', **The Indian Journal of Political Science**, Vol. 68, No. 4, 2007, pp. 791 – 808.

2- Nikita Mehta, China, India and the Philippines experienced highest levels of displacement in 2014, 20 July 2015, **Live mint website**, accessible at: http://goo.gl/6AijMu

3- Reagan Hoezee, Floods hit hard in SE Asia, 7 July 2015, **Mission Network website**, accessible at: https://goo.gl/gh8dJE

4- Press Trust of India, 65,000 People Affected From Floods in Assam, 16 July 2015, **NDTV**, accessible at: http://www.ndtv.com/india-news/65-000-people-affected-due-to-floods-in-assam-781909

5- Express News Service, 2015, Flood-like situation in parts of Gujarat, toll reaches 27, 30 July 2015, **The Indian Express**, accessible at: http://goo.gl/BlzUR4

6- Hundreds of villages in Gujarat struggling to find food and drinkable water in aftermath of devastating floods, 31 July 2015, **Mail Online India**, accessible at: http://goo.gl/WAo8wT

7- Express News Service, Floods in Pakistan kill over 80, nearly 3 lakh affected, 28 July 2015, **The Indian Express**, accessible at: http://goo.gl/rWa88d

8- Zofeen T. Ebrahim, Pakistan's new plan to embrace floods, **Dawn**, 30 July 2015, accessible at: http://goo.gl/Jd4Jr2

9- Stephan Uttom, At least 7 die in Bangladesh floods, **UCA News**, 28 July 2015, accessible at: http://goo.gl/sh7kPs

10- Himadra Ahsan, Thousands evacuated as Tropical Cyclone Komen hits Bangladesh, 31 July 2015, **International Federation of Red Cross and Red Crescent Societies,** accessible at: http://goo.gl/hMeJ0Z

11- Eruptions of Ash at 5 Volcanoes Shroud Skies in Indonesia, **ABC News**, accessible at: http://goo.gl/g3bkdy

12- Jessica Mendoza, Deadly monsoon landslides spotlight Nepal's post-quake challenges, 30 July 2015, **CS Monitor**, **Global News Blog**, accessible at: http://goo.gl/kogNhK

13- Jethro Mullen, Super Typhoon Noul howls over northeastern tip of Philippines, 11 may 2015, **CNN Edition**, http://goo.gl/K6RGMc

14- Tropical storm Linfa brings floods to northern Philippines, 5 July 2015, **Asia Pacific Section**, accessible at: http://goo.gl/2kuh5t

15- Nikita Mehta, China, India and the Philippines experienced highest levels of displacement in 2014, 20 July 2015, **Live Mint**, accessible at: http://goo.gl/FJtk1F

16- India Water Resource Information System of India, http://goo.gl/AEJHDg

17- Emergency Plan of Action (EPoA) India: Monsoon Floods 2014, accessible at: adore.ifrc.org/Download.aspx?FileId=64343

18- Zofeen T. Ebrahim, Pakistan's new plan to embrace floods, 30 July 2015, **Dawn**, accessible at: http://goo.gl/rFytbe

19- River flooding and management issues, **BBC**, accessible at: http://goo.gl/qJHTzI

20- IRIN, 2015, Indonesia's volcanic eruptions expose need to prepare for disasters, **The Guardian**, 26 February 2014, accessible at: http://goo.gl/YwzUgH

21- Bea Montenegro, Lessons from the Nepal earthquake, 11 June 2015, **GMA News Online**, accessible at: http://goo.gl/Wcyy94

22- Asit K. Biswas and Kris Hartley, 2015, Nepal: Lessons from Disaster, 1 may 2015, **The Diplomat**, accessible at: http://thediplomat.com/2015/05/nepal-lessons-from-disaster/

23- Nisha Desai Biswal, Everest Trembled: Lessons Learned From the Nepal Earthquake Response, 20 may 2015, **US State Department**, accessible at: http://goo.gl/fsGBbP